University of Thi-Qar Journal of Humanties Science
Website: jedh.utq.edu.iq Email: utjedh@utq.edu.iq

# ثقافة الشاعر النقدية وأثرها في شعره \ الشعر الفاطمي مثالاً

# The p0et s critical culture and its impact on his poetry \ Fatimid poetry is an example

م .د . أحمد حمد سليمان

Dr – Ahmed Hamad suliman

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

Email : ahmad hamad salman@gmail 0com

## Abstract

**Caring for criticism of poetry is considered lesson sessions and meetings in literary markets until the post are interested in them and have included some critical issues their poems and poems, especially the poets of the Fatimid era who were originally critics and had critical books, or those who possessed a critical know –how and sense of criticism that denotes the sublime of critical thought and the advancement of taste and know–how these poets have in addition to their merit in trading and this in itself is added skill for them in accessing topics that are more consistent with prose than with poetry**

الكلمات المفتاحية : ثقافة , نقد , المعنى , الفاطمي , شعر , قديم :
culture ,criticism , meaning , Fatimid , poetry ,ancient

**ملخص**

يندرج النقد الأدبي هو وتأريخ الأدب تحت عنوان الأدب الوصفي الذي يتخذ الأدب الإنشائي شعرا ونثرا ميدانا لنشاطه , بعدما مالت الحياة العلمية العربية في المجتمع العربي الإسلامي نحو التخصص في كل ميدان من ميادين المعرفة الإنسانية ولاسيما بعد حركة الترجمة والتدوين التي شهدها العصر العباسي ؛ ولكننا وجدنا عددا من الشعراء النقاد وممن امتلكوا حسا نقديا قد ضمنوا بعض قصائدهم وأشعارهم عددا من القضايا النقدية علما أن مثل هذه الموضوعات كان ميدانها النثر والحوارات العلمية والأسواق الأدبية , ولكن شعراء العصر الفاطمي قد مارسوا الحس النقدي شعرا في قريحة شعرية استلهمت قضايا اللفظ والمعنى والقديم والمحدث والسرقات وغير ذلك ما ينم عن سمو الفكر النقدي وارتقاء الذوق والدربة لدى هؤلاء الشعراء .

**المقدمة**

إن طاقات الإبداع التي زخر بها عقل العربي ووجدانه وهو يجوب جزيرته يصف وهادها وغيطانها وتلالها وهضابها وجداولها وغدرانها ونباتها وحيوانها جعلته يدون الذكريات والأفراح والأحزان شعرا أكثر من توثيقها نثراً لمناسبة الشعر للرحلة والانتقال وسهولة الحفظ والغنائية التي انطبع عليها شعرهم ؛ انسجاما مع تلك الحياة ؛ لذا فإنّ الذي عرف عن العرب أنهم أمة شاعرة , وهذا الأمر انسحب على عصورهم الأخرى حتى بعد ظهور الإسلام واحتياجه إلى النثر لغرض الإقناع والاحتجاج وشرح المعاني الدينية والعقيدة عن طريق الخطب والحوارات مع الأفراد والجماعات , وقضايا نقد الشعر هي من المسائل التي ينسجم معها النثر أكثر من انسجامها مع الشعر وكانت المحاورات محتدمة سواء في الأسواق الأدبية , أم في حلقات الدرس التي طرحها علماء النقد والبلاغة بعد حين , ولكننا بعد إنعام النظر في دواوين شعراء من العصر الفاطمي الذين هم كانوا نقادا في الأصل وأصدروا كتبا نقدية أو ممن امتلكوا دراية نقدية فإننا نرى كثيراً من تلك القضايا النقدية

تواجهنا في غضون قائدهم وهذا ما ينم عن سمو الفكر النقدي وارتقاء الذوق والدربة لدى هؤلاء , فضلا عن الجدارة في التناول ؛ وهذا بحد ذاته يعد مهارة مضافة للمهارات التي اشترطها النقاد للشاعر المفلق وقدرته في ولوج أي غرض شاء وتوفيته حقه من العرض والإبانة .

## المدخل النظري

شكلت الثقافة النقدية للشعراء أحد روافد استدعاء القول الشعري , تبدّت بصماته على أديم التجربة الشعرية لديهم , والتراث العربي زاخر بأمثلةٍ وممارسات نقدية قام بها شعراءُ نقاد منذُ العصر الجاهلي عندما كان الحكم النقدي فطرياً انطباعياً – في أغلبه – يمارسه شعراء فحول رسخت في ملكتهم رهافة الحس وتوقد القريحة التي تشفع للشاعر الناقد في إمضاء أحكامه على شعر غيره , فضلاً عن تنقيح شعره لإخراجه على أبهى ديباجة , وكما كان معروفاً في الجاهلية عن النابغة الذبياني وقبته الحمراء المضروبة له في سوق عكاظ في كُلّ عام[1] يحاكم الشعراء فيما يلقونه شفاهاً على السامعين مستنداً إلى ذوقه , وثقافة عصره , وما حكي أيضاً عن أم معبد زوج امرئ القيس في تحكمها بين زوجها , وعلقمة الفحل في أحكام ذاتية تختلف من شخص إلى آخر وقد تنتهي بغضب أحد طرفي الخصومة مسجلاً طعنه في الحكم الصادر بحقه لصالح منافسه [2] , والإقواء الذي عابه العرب على النابغة الذبياني , وبشر بن أبي خازم أو في تحاكم الزبرقان بن بدر , وعمرو بن الأهتم , وعبدة بن الطبيب , والمُخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي أيهم أشعرواستنواق جمل المُسيَّب بن علس , واعتراض طرفة بن العبد عليه , [3] كل هذا يدل على وجود ثقافة نقدية لدى الشعراء , أو من كان لهم حذقٌ فيه ودربةٌ , وهي في أغلبها تميل إلى التعميم والتعبير عن الانطباع الكلي دون اللجوء إلى التعليل [4] ؛ لأنَّ القواعد النقدية لم يجرِ انضاجها بعدُ , والركون إليها , والاحتكام إلى أصولها القارة في الشعر .

وبعد ظهور الإسلام , وثورته الشاملة , أصاب الحياة العربية تطور حضاري اتسع في أطرها الفكرية والاجتماعية والسياسية والعلمية ؛ فتشعبت العلوم وتوسعت مجالاتها , ومالت نحو التخصص في كُل ميدان من ميادين المعرفة , وكان لِلُّغة وعلومها سهم وافر من ذلك الاتساع , مما أدى إلى شيوع حركة نقدية متنامية على يد نقاد متمرسين أغنوا الساحة النقدية

بتأليفاتهم الغنية بالرؤى النقدية التي تميل نحو التحليل والتعليل بعد التطور الحضاري المضطرد في الحياة العربية في ظل الإسلام , فنضجت الأحكام النقدية , ومارسها نقاد متخصصون لم يكونوا بعيدين عن مضمار قرض الشعر .

أما في العصر الفاطمي ؛ فإنَّ تطور الحياة العامة كان لابُدَّ له أنْ يُلقي بظلاله على الحياة الأدبية , والثقافة النقدية , إذا ما علمنا أنَّ عدداً من شعراء العصر الفاطمي كانوا نقاداً ولديهم كتبٌ نقدية معروفة , وبعض منهم كانوا قضاة وآخرون كانوا كُتاباً حملوا ثقافة أدبية متنوعة , كان لها أثر في توجيه شعرهم توجيهاً ينم عن وعي أدائي في كثير من الأحيان , وأنَّ استحضار الروافد المعرفية التي استقى منها الشعراء صورهم الفنية في مواقف الانفعال الذاتية ؛ ينمُّ عن التفاعل الخلاق بين قريحة الشاعر ومكنونات ثقافته التراكمية [5] فمثلاً الشاعر أسامة بن منقذ حين أقدم على جمع شعره عمد إلى ترتيبه بصيغة تختلف عن أيّ من جُمّاع الدواوين الآخرين , وهي طريقة الترتيب بحسب الموضوعات الشعرية لأبيات القصيدة , فتجد القصيدة الواحدة تتوزع على أماكن عدة من الديوان بحسب الأغراض التي طرقها الشاعر, فأبيات المديح في موضع , وأبيات الغزل في موضع آخر , وجعل الغزل متصدراً للديوان لشعوره بعلاقة الغزل بشتى الأغراض الشعرية وعلوقه بكل قلب , وهذا الترتيب له مزية خلق الجو المناسب للقصائد ذات اللون الواحد مما يهيئ للقارئ أنْ يدرك فن الشاعر , وطريقته في كلّ غرض[6] هذا من وجهة نظر الشاعر الذي عنَّ له أنْ يُسهل على المتلقي قدرة استكناه الحكم وهو بحدّ ذاته يُعد ممارسة نقدية للشاعر طبقها على نتاجه قبل أنْ يُقدّمه إلى القراء , والمتذوقين , فالشاعر ناقد بطبعه , لما يمتلكه من رهافة الحس , وهي وجهة نظر ربما لا يوافقه فيها الكثيرون لما تسببه تلك العملية من بعثرة للنصوص وتمزيقها وخلخلة أجزائها , والشاعر لابد له أنْ يبذل جهداً على المستوى الشخصي المتعلق بشعره ليبلغ به حدَّ النُضج , ولا يُعدُّ ذلك مُمارسة نقدية , ولكنَّ هناك نمطاً من الشعراء الذين سعوا إلى تقديم أُفقٍ من الكتابة النقدية التي تعكس وعياً وخِبرةً جعلتهم مؤهلين أن يوصفوا بالشعراء النقاد[7] كـ(الحسن بن علي الضبي – 393هـ) , و( أسامة بن منقذ – 488 هـ) , وهناك من النُّقاد الشعراء كـ( ابن رشيق القيرواني – 463 هـ ), و (ابن سِنان الخفاجي – 466 هـ ), فضلاً عمَّن امتلكوا دربة أدبية , وذوقاً فنياً كـ(ابن قلاقس – 567 هـ )

إنَّ عناية العربي الفائقة بالشعر غدتْ نسقاً ثقافياً لا يُمكن إنكاره , أو التغاضي عنه فهو سِفْرهم الخالد وسجل مآثرهم الذي يتغنى به المتغنون , وإلى مثل هذا المعنى أشار الشاعر : (8)

ثناءٌ تعبق الأقطار منـه وتخصبُ منه ماحِلةُ البِقاعِ

إذا المجدُ لم يُضبطْ بشعرٍ فقدْ أضحَى بِمَدْرجِة الضَّياعِ

كان الشعر هو الوسيلة الإعلامية الأولى التي تسمو بالذكر وتطير به , وأنَّ الظاهرة النقدية تتبع الكيان الشعري بالرصد والتقويم وإذا ما أردنا قراءة النص وتوجيهه على وفق مسارات تأويلية منسجمة مع الواقع الثقافي للعصر وما يطرأ عليه من تحولات فإننا نلمحُ أنَّ المادح يشمخ بأنفه فوق مقام الممدوح سواءٌ شعرَ الممدوح بذلك أم لم يشعر , ولم يُبقِ الشاعر لممدوحه من منازل الشرف , ومقاماته شيئاً فقد استحوذ على الرتب كُلها وحازها إلى نفسه , وطواها تحت عباءته , فهو المتفضل إنْ أراد أنْ يجود بشيء منها على ممدوحه ليحفظ له مجده وإلاّ ضاع ذلك المجد , وانفرط عقده بين طيات النسيان , وتقادم الأزمان .

أمَّا الشاعر ظافر الحداد فأنه يسترسل في التطرق إلى عرض قضيتين نقديتين : الأولى هي مناسبة الغزل لأن يكون تقدمة للمديح وباباً يحسن الدخول منه إليه , والأخرى هي تأكيده على أهمية الشعر , ومكانته الرفيعة في الحياة العربية مُؤكدا الجملة المأثورة: الشعر ديوان العرب , لما ينماز به الشعر من فاعلية في تحريك مكامن الشعور , وما يتوافر عليه من عناصر التخييل , والإيحاء التي يفتقدها النثر غالباً لأنه مبني على التوصيل بعيداً عن تحريك طاقات الخيال , وفي ذلك يقول الشاعر: (9)

الحُبُّ مُذْ كان معنًى يَصحبُ الأدبا فإنْ تغزلتَ في مـدحٍ فلا عَجَبـا

وأحسَنُ الشعرِ ما أضحى تغزُّلُـهُ إلى المدائح في إنشـاده سَبَبـا

والفهم كالنارِ والتشبيب إنْ خمدتْ يشُبُّها بِلَطيفَي فِكـرةٍ وصَبَـا

كم فِكرةٍ أَنتجتْ مَعنًى لِمُلتهـبٍ بالشَّوقِ لو رَامهُ في غَيْـرِه عَزَبـا

وحِكْمةُ العَربِ المَاضِينَ كامِنـةٌ في الشعْرِ فلْيقفُ منَ يُعنى به العرَبا

فَهل تَعاطاه فَحلٌ في فصَاحتِـهِ إلاّ بكَـى سَكنـاً أو نَـاحَ أو نَدَبـا

في الأبيات الأربعة الأول من هذا النص يشير الشاعر إلى ما أكَّده ابن قتيبةَ من تقديم النسيب والتشبيب بالنساء مُقدمة لأغراض الشعراء , وبين يدي حاجاتهم ؛ ولاسيما في المديح الذي يرتجي المادح من ورائه جزيل الأُعطية قاصداً الممدوح قاطعاً لأجل ذلك القفار متجشماً للأخطار , في الغزل تتجسد معاني الحب والولاء للمحبوب وتتيقظ الخواطر وتضطرم المشاعر, فهو بمثابة الوقود الذي يغذي النفس ويأخذ بتلابيبها , ويزرع فيها حين يشكون ((الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة ليميلَ نحوه القلوب , ويصرف إليه الوجوه , وليستدعي به إصغاءَ الأسماع إليه ؛ لأنَّ التشبيبَ قريبٌ من النفوس لائطٌ بالقلوب ؛ لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل , وإلف النساء فليس يكادُ أحدٌ من أنْ يكونَ مُتعلقاً منه بسبب ))[10] , ولأجل ما ذكرنا باتَ الغزلُ لصيقاً بالمديح أكثر من غيره من الأغراض الشعرية الأخرى , وفي آخر المقطوعة أي في البيتين الأخيرين يحاول الشاعر التذكير بما ترسخ من مفاهيم ومحاولة تعضيدها بعدما توسعت المعارف , والعلوم , وأُلّفت الكتب , في محاولة مِنهُ لإبقاء الشعر على مكانته السابقة , وسلطانه القديم , وقيمته المرموقة الراكزة في الأذهان , وربما ممارسة الإقصاء الإجناسي – إن صح المُدعى – على الأشكال التعبيرية الأخرى , فالأفكار التي تصاغ في القوالب الشعرية تُكسى حُللاً من التزيين لا تُكساها في غيره من أفانين القول الأخرى , ويوجز ما تناقله مؤرخو الأدب ؛ من أنَّ الشعرَ وعاءُ الحكمة , ومنتهى المعرفة عند العرب فمن طلب الحكمة ؛ فليبادر إلى انتهاج ذلك النهج العربي في العناية بالشعر وتقديمه على النثر , وكما أوضح صاحب العمدة بقوله:(( لأنَّ كلَّ منظوم أحسنُ من كُلّ منثور من جنسه))[11] , والشاعر بهذا يمارس مهمة نقدية مذكراً بقضية مفصلية في العملية الإبداعية, ألا وهي الفحولة الشعرية القائمة على خصوبة الخلق الفني الذي يُفرغونه في الوقوف على الأطلال وبكاء أهلها الظاعنين عنها وندب الأيام الخالية التي قضت , والسنين التي مضت , وأنَّ مُقصد القصيد في بادئ أمره سعى إلى ذكر الديار والدمن والآثار فصار ذلك من أعراف الشعراء وسننها المتوارثة [12] .

إنَّ مسألة السرقات الشعرية ؛ هي من الأفكار التي انحدرت من ساحة النقد إلى ميدان الشعر, وهي مثلما تسيدت حَلْبَة العِراك في كثير من المدونات , و المقاربات النقدية ؛ فقد انسابت كذلك في أشعار الشعراء فهذا ابن قلاقس يشنع على من أغار على شعر غيره وسرق معانيه , وهو في معرض التنفير من تلك الفعلة القبيحة فيقول : (13)

بكرتْ لِنُصحكَ يا أبا بكـر غريبةٌ من مَشرِقِ الفِكرِ

قَطَعتْ إليكَ البَـرَّ حامِلـةً فيها فنون عجائب البحرِ

وافاك ذِئْبٌ إنْ عضدت لـهُ حاشاكَ ضاعتْ لذَّةُ الشعرِ

أعيى زُهيراً كم يُنـازِعـه لِمَن الديارُ بِقُنَّةِ الحَجْـر

وثنى قفا نبكِ التي اشتهرتْ تمكو فرائصها من الذعر

حَبَّرْتُ ما حَبَّرْتَ من مَدْحٍ فاحْتَازَها بِصَوارِمِ الحبرِ

وَكَسَوْتَها زَيْدًا فَجَرَّدهـا عَنْهُ وَأفْرَغَهَا على عَمْرو

كَم غارةٍ في مِصرَ جاءَ بِها وَسَمِعْتَ بالغاراتِ فِي القَفْرِ

فاحْرُسْ ثيابَ حِجَاكَ إنَّ لـهُ جارًا يدِبُّ إليك بالسّحْـرِ

واعجبْ لبغـاءِ قريحتِـهِ تَزْنِي بِكُلّ مَنِيْعَةٍ بِكْـرِ

لقد قام الشاعر بعملية توصيف لما يحصل من استباحة للنصوص الشعرية وانتهاكها والعبث بها من لدن من يقومون بعملية السرقة وقد بكَّر بالنصح والتحذير من تلك الفعلة القبيحة ؛ لأنَّ من يسرق الأفكار والمعاني كمن يسرق أموال الناس وممتلكاتهم وجسد الشاعر عملية الإغارة على أشعار الآخرين في صور توحي بالرفض المطلق , والمتجذر في الذائقة النقدية العربية , ولا يمكن تقبّلها حتى عرفياً , واجتماعياً , وقرَن الشاعر بين تلك الإغارة , وبين ما يفعله الذئب من هتك حمى القطعان وانتهاك لها في صورة تجسيدية , مما يؤدي إلى

الاستباحة العشوائية للأموال والممتلكات وانّ نتاج قرائح الشعراء لايجوز التعدي عليه بأي حال من الأحوال , أو هِبَته لأحد دون أحد , كما إنَّ الإساءة لشعر الفحول لا تقل قبحاًعن رذيلة الزنا والبغاء , وهذا أشد ما يقال في عملية السرقات الشعرية , تنفيراً من هذا الفعل , وتقبيحاً له وفي موضع آخر يعرب الشاعر ابن قلاقس عن سخريته اللاذعة بأولئك السُّراق:(14)

وكم بيت شعرٍ كان عنقاء مُغربٍ فصار عصى الأعمى لمقوله البعكي

يُبكي به الأقلامَ نقلاً مُصحَّفاً تموتُ معانيه عليه من الضحك

فكُنْ صاحِي الحُكم في سرقاته فما الخبر المحكي في ذاك بالمحكِ

إنَّ الشاعر يعرب عن حالة الاستهجان , والسخرية اللاذعة التي تحصّلتْ نتيجة سرقة معاني الآخرين , والإغارة عليها مما يستدعي الضحك تارة وبكاء الأقلام تارة أخرى في حالة حاكية عن ذلك التناقض الذي أفسد تلك المعاني الوضيئة , وأساء إليها أيَّما إساءة

إنَّ تلك التوصيفات , والإشارات في أشعار الشعراء؛إنما هي صدى لما يشاع ويتناقل , وما تجري مدارسته في الحوارات النقدية , وكتب النقد عن موضوع السرقات في الشعر وتباين وجهات النظر , وتوكيدهم أنَّ هذا الباب من الأبواب الواسعة جداً ولا يدعي شاعر السلامة منه , لأنَّ فيه أشياء غامضة إلا على الحاذق , وأخرُ واضحةٌ لا تخفى إلا على الجاهل(15) , وأن لا غنى للشعراء عن تناول معاني من تقدّم , ولكنّ الشاعر الحاذق هو من عدل بالمعنى , وكساه ألفاظاً من عنده وزاد في تأليفها وجودة تركيبها , أو عكس المعنى إلى ضده , أو العدول به عن نوعه وصنفه ووزنه , وعن رويه وقافيته , فيكون الشاعر الجديد أولى به من غيره (16) , لأنَّ الكلام لابد أن يعاد ولا عيب في ذلك , وكما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (لولا أنَّ الكلام يُعاد لنفد)(17) , وبذا يتسنى للشعراء العُذر في أخذ بعضهم عن بعض ونظر بعضهم في نتاج بعض في عملية تَمَثُّلٍ واعٍ يسهم في تعميق التجربة , وإنضاجها كما أشار النقاد العرب قديماً في مصنفاتهم وفسحهم المجال أمام الشعراء ؛ لتنفتح نصوصهم على بعضها بعضاً مما يزيد في رونق مائها وبهجة روائها , وجعل ذلك

فضيلة للاحق وبراعة منه [18] تماشياً مع نظريات النقد الحديث وما تمخضت عنه من مناهج ومنها تقانة التناص التي وسعت من مساحة انفتاح النصوص على بعضها .

والشاعر أسامة بن منقذ بما أوتي من ثقافة نقدية ومعرفة بطبيعة الأدب ,يحاول ترسيخ تلك القيم النقدية في مشغله الإبداعي ليردَّ على من يتهمونه بالسرقة وهم لايميزون بينها وبين التضمين الذي تناولته كتب البلاغة والنقد العربي , حين يقوم الشاعر باستعارة الأبيات , أو أنصافها من أشعار الآخرين ووصف أبو هلال هذا الإجراء بأنه حسن[19] , وهو ينمُّ عن سعة ثقافة الشاعر , وكثرة اطلاعه على شعر الفحول , فضلاً عن قدرته على مطاولتهم , والاصطفاف معهم في مستوى قامة واحدة من الإبداع , لأنَّ استعمال تقانة التضمين سلاحٌ ذو حدين , فهي قد تلحق بالشاعر ضرراً إنْ هو قصَّر في حلبة الرهان , وعندها يبين النقص , وتتضح الفجوة بينهما , ومن تضمينات الشاعر قوله: [20]

أطاعَ الهَوى مِنْ بَعْدِهِم وَعصَى الصَّبرُ فَليسَ لهُ نَهيٌ عَلْيهِ ولا أمْرُ

وعاوَدَهُ الوَجدُ القَدِيمُ فَشَفّهُ جَوىً ضاقَ عَنْ كِتْمانهِ الصَّدرُ والصَّبرُ

يتضح لنا أنَّ الشاعر قد قلب المعنى المستدعى من بيت أبي فراس الحمداني , فهو يعلن انقياده إلى داعي الهوى الذي لم يجب داعيه أبو فراس , ولم يذعن له , بقوله :[21]

أرَاكَ عَصِيَّ الدَّمعِ شِيْمَتُكَ الصَّبرُ أمَا لِلْهَوى نَهْيٌ عَلْيكَ وَلا أمْرُ

وليس من شيم الحب ولا من سننه أن يتحكم عقل المحب بعاطفته ؛ بل نرى المحبين العشاق بمثابة من فارقت أرواحهم أبدانهم وخامرهم سُكر الهوى الذي ألهب مشاعرهم .

وحين تتم قراءة القصيدة , يتبادر إلى ذهن المتلقي تقصُّد الشاعر بشكل لافت إلى تضمين أبيات الشعراء , في هذه القصيدة , وغيرها من القصائد , وهو بالفعل حاول ذلك الأمر حين بلغه أنَّ بعضهم اتهمه بالسرقة في بعض قصائده التي ألقاها في رحلته إلى مصر ناعياً على هؤلاء عدم قدرتهم على التمييز بين التضمين , والسرقة ؛ وفي بيت آخر يقول:[22]

أسُكانَ أكناف العواصمِ دعوةً بفِيَّ بَروداً , وهي في كبدي جمْرُ

يتضح في شطر الثاني من البيت تضمين الشطر الثاني لبيت المتنبي , الذي يقول فيه :[23]

أريقُك أم ماءُ الغمامةِ أم خمْرُ بفيَّ برودا وهي في كبدي جمرُ

وفي بيت آخر لأسامة , يقول فيه : [24]

وروعةُ شوقٍ تعتريني إليكمُ كما انتفضَ العُصفورُ بلَّلهُ القطرُ

يضمن الشاعر شطراً لأبي صخر الهذلي , من قوله: [25]

وإنّي لَتعْروني لذكراك هِزةٌ كما انتفضَ العُصْفورُ بللهُ القطْر

هذه الأبيات هي أنموذج على ما قام به الشاعر من تضمين اشتهر به في أثناء قصائده مؤثرين الاختصار في هذا الباب بهدف توضيح هذه القضية النقدية البلاغية التي أشارت إليها كتب النقد والبلاغة .

إنَّ الشاعر أسامة بن منقذ هو ناقد متمرس وأديب فذ , تملَّك ناصية النقد , وبذوقه النقدي تسنى له التفريق بين السرقة , والتضمين , لذا فهو يحاول عن طريق هذا الفعل التطبيقي في ميدان الإبداع الأدبي ؛ ترسيخ تلك القيم النقدية فنياً في الأذهان , فضلاً عن كثرة تناصه مع أعمدة الشعر العربي بعصوره المختلفة , مع إيماننا أنَّ القيم الجمالية في النصوص الأدبية لا يمكن لها أنْ تفرض من خارجها , وتملى إملاءً وتلقى على كاهل الأديب وإنما هي نابعة من عميق تجربة الأديب وصدق التعبير عنها , مع الاستعمال الواعي للغة , وتراكيبها , وأساليبها , ومكامنها التعبيرية .

إنَّ تلمس المعاني اللطيفة , والألفاظ العذبة ينم عن تطور الحياة الفكرية , ورقة الأذواق في العصر الفاطمي , واتساع الوعي والثقافة النقديين , ولم يعد ذلك مرتهناً بنقاد الشعر, بل كان للشعراء نصيب في ذلك المنحى من تهذيب الطبع , ورهافة الحس , والذوق المشغوف بالمعاني الطريفة والصور المستحدثة , بما يدخل في تثقيف الحواس التي تقبل على ما هو

جميل , وذلك يتأتى من الرقي الحضاري الذي ينشر ظلاله على النتاج الشعري , ومقدار تقبله , أو رفضه .

أمَّا ظافر الحداد فيبعث برسالة شعرية إلى أبي الصلت ؛ مثنياً على حسن ألفاظه , وجمال معانيه بما تميز به من المتانة , والقوة , فيقول: (26)

معانٍ كأطواد الشوامخ جزلـة تضمنها عذب من اللفظ غيداقُ

به حكم مستنبطـات غرائـب لأبكارها الغُرِالفلاسفُ عشّـاقُ

فلو عاشَ رسطاليس كان له بها غرامٌ وقلبٌ دائم الفكرِ تـوَّاقُ

تكمن مسوغات الثناء الذي صدح به الشاعر على تلك المعاني من جانب قوة تلك المعاني وشرفها , فهي شامخة شموخ الجبال , كسيت ألفاظاً عذبة تنسجم مع شرف تلك المعاني التي انطوت على حِكَم مستطرفة بكر لم يفترعها أحد قبله , قد تلقفها أصحاب العقول من ذوي الأفهام بالترحيب والإعجاب , وزيادة في توكيد طرافة تلك المعاني فان ارسطو طاليس يعجب بها ويغرم بها قلبه ؛ لما فيها من عميق معنى , وهو يشير إلى تآزر اللفظ والمعنى في إنتاج دلالة النص المكتنز الحافل بالعناية والاهتمام , والمعبّر عن تموجات النفس وخلجاتها .

يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى قضية اللفظ , والمعنى التي تناولتها مدونات النقد العربي وزخرت بها المصنفات النقدية , وتصدرت المعترك الجدلي بين النقاد قديماً بين مفضل للمعنى مؤخر للفظ , وبين مقدم للألفاظ مؤخر للمعاني فهي عنده مطروحة في الطريق يعرفها البدوي والعجمي والقروي , وإنما الشأنُ عنده في تخيُّرِ اللفظ , وإقامة الوزن وجودة السبك وكثرة الماء(27) , و بها تتحقق فضيلة الشعر, فيكثر ماؤه ويغدق أصله , فيسمق فرعه , وتثمر أغصانه , لأنَّ للمعاني الشعرية ألفاظاً تشاكلها , ولا تنال الحسن إلا معها , وأنَّ اللفظ جسمٌ روحه المعنى , يقوى كل منهما بقوة صاحبه ويضعف كذلك بضعفه (28) .

إنَّ تنقيحَ الشعر وتهذيبه , وإعادة النظر فيه مرة بعد أخرى عمليةٌ مارسها الشعراء منذ الجاهلية , ولاسيما الشاعر زهير بن أبي سلمى في حولياته , مُتَّبعاً طريقة أستاذه أوس بن حجر فقد كان زُهير راوية شعره , وعدَّ الأصمعي زهيراً , والحطيئة , وأشباههما من عبيد الشعر لأنهم نقَّحوه , وهذَّبوه حتى أدخلهم مجهودهم باب التكلف , والصنعة , ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين الذين أثنى عليهم الجاحظ كالنابغة الجَعْدي , و رؤبة [29] , ثم أتخذ هذا النهج مذهباً لدى الشعراء , وتابعه النقاد تحت عنوان أصحاب (الطبع والصنعة) وأصبح لكل مذهب نُظَّامه من الشعراء , وأنصاره من النقاد فيما بعد , وعدَّ ابن رشيق القيرواني ( المطبوع) هو الأصل , و(المصنوع) وإنْ وقع عليه هذا الاسم ؛ ولكنه ليس متكلفاً تكلُّفَ أشعار المولدين[30] , وغدا أهل الطبع يمثلهم البحتري , وأصحاب الصنعة إمامهم أبو تمام , في موازنة الآمدي بين أبي تمام والبحتري وناقشها تحت عنوان ( عمود الشعر)[31], وانتهت تلك الموازنة عند المرزوقي حينما سعى إلى إكمال أركان العمود الشعري ونضجها على يديه [32], ويُفصح أسامة بن منقذ عن منهجه وطريقته في مخض المعاني الشعرية , فيقول :[33]

كُلَّما ردَّدتُ في شعري النظرْ بان ضُعفُ العِيّ فيه وظهـر

ليسَ يُرضيني ولا يُمكِنُني جحدها ما قد شاعَ منهُ واشتهرْ

فأُجيلُ الفِكرَ في تقليلـه فإذا قلَّ اختصـرتُ المختصـر

وبهَ فَقْرٌ إلى ذي كـرَمٍ إنْ رأى ما فيه مِن عَيبٍ سترْ

إنَّ عملية الإنتاج الشعري لدى أسامة تخضع إلى مرحلتين:الأولى عملية التدوين التي تخضع للمخيال الشعري , والعاطفة التي لها السهم الأوفى في هذه المرحلة , والثانية تخضع للعقل والنظر النقدي الذي يمارس سطوة في الأخذ والترك والاستبعاد , وتبدو جدية الشاعر وموضوعيته العلمية وهو يضع نتاجه على مِشْرحة النقد العلمي , وقواعده الصارمة من دون تحيز أو غض طرف فهو يقر ببعض الوهن الذي لابدَّ من اجتنابه والتخلص منه

يقترب الشاعر من رأي ابن طباطبا العلوي في صناعة الشعر وتوجيهه الشعراء ساعة التأليف ومخض المعاني ونظم الأبيات على غير اتفاق بين البيت وما قبله , وبعد استيفاء المعنى المقصود يبدأ بالتأليف بين المعاني والتقديم , والتأخير , والحذف والإضافة , وتبديل لفظ بلفظ ومعنى بآخر , وربما أبطل البيت , ونقض بعضه , ويكون كالنساج الحاذق حتى تستقيم القصيدة وتلتحم أجزاؤها [34] , أما الشاعر ابن سنان فإنه يبدو أشد ثقة بقريحته , وتيهاً بشعره وهو في موقف المديح , فيقول :[35]

لي فيك من فِقرِ الكلامِ غرائِبٌ يُثني عليها الدهرُ وهو حسودُ

لولا هواكَ لطالَ عن تثقيفها قدْري ولو أنَّ النُجومَ قصيـدُ

وَلَعزَّ عن طوع القِياد زِمامها لو أنَّ غيرَكَ كُفؤُها المقْصُـودُ

يثبت الشاعر فخره بشعره عن طريق أبيات المديح , وفيها يعلو صوته ممجداً نفسه , لأنَّ غرائبه قد نالت إعجاب الدهر الحسود , فهي شرود لا يسلُسُ قيادُها , ولا تنزل على طوع أحد غير كفءٍ لها , وذلك لخصب قريحته , وتمكنه من زمام الأداء الفني , فقدره يجلُّ عن مستوى إطالة الفكر, لحضور البديهة عنده , وقوةِ الملكةِ , واكتمال الأدوات لديه , ولكن علوَّ مقام الممدوح , وللصلة الحميمة بينه والشاعر سوّغت إمكانية تهذيب تلك القصائد وتثقيفها ومعاودتها حتى تستقيم على مستوى من الأداء الفني المنسجم مع المقام الباذخ للممدوح .

ويلجأ ابن رشيق القيرواني إلى حسه النقدي , وهو يسجل عدم رضاه , واعتراضه على الحُصري الذي أخذ في عمل طبقات للشعراء على رتب الأسنان , وليس على مستوى الأداء الفني للشاعر , وعدَّ القيرواني ذلك العمل منهجاً عقيماً لا يُؤيده المنهج العلمي الصائب , فيقول: [36]

رِفقاً أبا إسحاقَ بالعالـَمِ حصلْتَ في أضْيَقَ من خاتِمِ

لو كانَ فضلُ السَّبقِ مندوحةٌ فُضّـلَ إبليـسُ على آدمِ

إنَّ تلك الطريقة التي دأب عليها المؤلف في التناول , والتقويم هي طريقةٌ آلية فطرية فاقدة للمنهج العلمي الذي لابُدَّ له أن يسود في تناول النصوص الأدبية , ولاسيما بعد تطور الحياة العربية في مجالاتها الفكرية , والعلمية , واتساع المعرفة في ظل الإسلام , وتقعيد القواعد لكل فن , أما الطريقة السابقة فهي لا تُبدي فضلاً ولا مزية لأحد , ولا تتضح فيها شخصية الأديب ورأيه النقدي في المفاضلة والترجيح بين شاعر وآخر

وحين أتمَّ الشاعر كتابه العمدة قرَّضه بهذه الأبيات , فقال :[37]

إنَّ الذي صاغتْ يدي وفمي وجرى لساني فيه أو قلمي

ممَّا عُنيتُ بِسبْكِ خالصـهِ واخترتهُ من جوهرِ الكَلِـمِ

لـم أُهـدهِ إلا لِتكسُـوَهُ ذِكراً يجدّدُهُ على القِـدَمِ

لَسْنا نزيدُكَ فضلَ مَعرِفـةٍ لَكِنَّهُـنَّ مصايـدُ الكـرمِ

وهنا يتضح الذوق النقدي والحماسة المنهجية التي لابدَّ لكل مؤلف أنْ ينتهجها في الإنتاج التأليفي لتتم الفائدة , ويعم الانتفاع به , فقد بذل وسعه في الاختيار من جواهر الكلام وعيون الآداب , وأبدى براعة في التبويب , والسبك والاستخلاص , فضلاً عمَّا أبداه من تواضع العلماء في البيتين الأخيرين وهو يخاطب الشخص الذي أهدى إليه هذا السفر

وحين نعود إلى تصفح صحائف ابن سنان الشعرية ؛ فإنّنا نرى فيها إيغالاً واعتداداً بقريحته , وفخراً بشعره في أثناء المديح , فيقول :[38]

وغريبةٍ سبقَ الوشاةُ بأوَّلٍ مِنها وحُسنُ الشعرِ حينَ يُتمَّمُ

غنَّتْ كما سجَعَ الحَمامُ ورُبَّما زأرتْ كما هدرَ الفَنيقُ المُقْرَمُ

كالكاعبِ الحَسْناء إلا أنَّهـا من فقدِها الأكفاء قبلكَ أُيِّـمُ

أظهرتُ فيها المُعجزاتِ لِأمَّـةٍ ذَلَّ البليغُ بها وعزَّ المُفْحِـمُ

في تتبع الأبيات السابقة , فإنَّ ملامح النقد تتبدّى أمام المتلقي في كل بيت من أبياتها , فمعانيها غرائب لم يطرقها أحدٌ من قبله , ولا يتضح جمال الشعر بتجزئة أوصال القصيدة , بل يتضح جماله حين تأتي تامة المبنى , والشاعر يراعي الموقف الشعوري الذي تتلى من أجله القصيدة , وتذاع في أجوائه , فلكل مقام مقال , فهي تأتي أحياناً كسجع الحمام , وربما صدرت هادرة كصوت فحل الإبل , وهي كالحسناء التي , أزَّينت باحثةً عن كُفئها من قبل أن تهتدي إلى الممدوح الذي كان أحرى بها , وأجدر , ويصعّد الشاعر من سقف إبداعه فهو للمعجزات أقرب قد ذلت له البلاغة , ودان له البلغاء , ثم وصل إلى ذروة التفاضل ليبزَّ من تساجل معهم , ويتغلب عليهم , وينصب نفسه نبياً من أنبياء الشعر من دون منازع , أو مُضارع .

تبقى للشعر لغته التي ينماز بها عن لغة النثر, فهي لغة مراوغة , تجنح إلى التحليق في الخيال , وتمارس لعبة الحضور والغياب وجدلية الخفاء والتجلّي , في محاولة للقبض على المعنى المتواري بين ركام الدوال الحاضنة له , وأكد ابن رشيق القيرواني قديماً: أنَّ للشعر ألفاظه المعروفة , وأمثلته المألوفة وصياغاته التي تباعده وتنأى به عن أساليب التعبير الأخرى [39] مما يؤدي إلى تزايد معدلات الكثافة الفنية وتغليب الرمز والاعتماد على تفجير الطاقة الإيحائية البعيدة للتعبير , مما يؤدي إلى مشاركة المتلقي في توليد المعنى الذي لا يعرض بشكله التام[40] .

يتحين الشاعر ابن قلاقس الفرص ليحقق مناسبةً يفخرُ عن طريقها بشعره , فالمديح باب مشرعةٌ مصاريعُهُ يعلو صوت الشاعر في جنباتها ليحقق الارتواء من الفخر الذاتي المُشبَّع بِحُبّ النفس , وتفضيلها على الممدوح أحياناً كثيرة , فيقول: [41]

فنظمنا المفاخرَ كاللآلـي وحلَّينا المعالـيَ كالنحـور

تلك الأشعار كانت متفردة بجمالها , فهي لآلئ تزين النحور , ودر بحور لا يوزن بثمن وإذا أنشدها المنشدون تعلقتها الأسماع طرباً يستخف لسماعها الحليم تيهاً , بل إنَّ ثبيراً يجنح

به فضوله – وهو الجبل الأصم – فيصيخ بسمعه , وتهتزُّ معاطفه طرباً بما تسمع من جميل الأشعار ورقيقها .

أمّا الملك الصالح طلائع بن رُزيك في معرض ردّه على الفقيه نصر بن عبد الرحمن , فيقول: (42)

أهدى لِي القاضي الفَقِيه عَرائساً فيها بَديعُ الوشي من تنمِيقهِ

فأجلتُ طرفي في بديعِ رياضِهِ مِنْ ورده وبهاره وشَقِيقِهِ

فكأنما اجتمعَ الأحبةُ , فانبرتْ يدُ عاشقٍ تهوى إلى مَعْشُوقِهِ

نزَّهتُ في بُستانِ نظمِكَ خاطري فَحَظَيْتُ من زَهرِ الربا بأنيقِهِ

إنه يلوّح للقارئ بكل معنى جميل , ولفظ أنيق مشرق الديباجة , معانيه كالعرائس , وألفاظه موشاة مكسوة بأبهى الحلل انفرجت أسارير نفسه وهي تتنقل بين رُبا الورد المونق من خميلة إلى أخرى , يتماشى مع إشراق الروح بالود الذي غمرها , وبالوفاء الذي خامرها , وأنَّ تلك المعاني الشريفة قد كُسيت ألفاظاً كما تُكسى الاشجار ورد الربيع , وأزهاره , فتخرج في حُللٍ من جمال مضاعف تبقى المعاني في الصناعة الشعرية ؛ مفتقرة إلى الألفاظ التي هي مادة الأديب في تشكيل فَنَّه الإبداعي , والشاعر يستطيع أنْ يلقيَ على غارب اللغة كُلَّ أعبائه الوجدانية , وهي خليقةٌ أنْ تمنح الأدب ثراءً مشحوناً بمعطيات الشعرية , وكان الشاعر القديم يتزود من الثروة اللغوية , والتركيبية زاداً وفيراً , فيحفظ الشعر ويتتبع طرائق الشعراء في التأليف المادة الشعرية ؛ لتشرق ديباجته بها , وتتسع لديه ممكنات الأحذ , والترك عن طريقها (43) .

وفي إحدى مدائحه سعى الشاعر أبو الحسن التهامي إلى تطبيق بعض القواعد النقدية التي يوصف بها الكلام الجيد , ومن ذلك قوله :(44)

لله آلُ المَغْربـيّ فإنَّـــهم كنْزُ الفقيرِ ونُجْعَـةُ المُتــأدبِ

وإليهمُ لو أنْصفَ الناسُ انتهتْ شُعَبُ الفصاحةِ وابتَدَتْ مِن يعرُبِ

أهلُ الفَصاحةِ والصَّباحةِ والرَّجا حةِ والسَّماحةِ والكلامِ المُعْـربِ

لقد توفر آل المغربي على خصلتين حظيتا بمديح الشاعر وثنائه عليهم , وهما: خِصْلة الكرم المُتجذرفي نفوسهم , فهم كنزُ الفقير , وعيبته التي يلجأ إليها , وخصلةُ الأدب التي أنتهت إليهم شُعب فصاحتها , وهم قد تورثوا ذلك الأمرَ كابراً عن كابروصولاً إلى يعرب جدهم الأعلى , فهم لايتكلمون إلاَّ كلاماً مُعرباً فصيحاً جارياً على قواعد اللسان العربي , وفي ذلك دلالة الإلمام بقوانين اللغة العربية , والتثقف بعلومها والتمكُن من ناصيتها فضلاً عن طلاقة الوجه , ورجاحة العقل , والسماحة التي زانت سلوكهم , وجمَّلت طبائعهم .

أمَّا طلائع بن رُزَيك فيثني على صديقه أسامة بن مُنقذ وما ادَّخره من صنعة الأدب , فيقول (45):

آدابُكَ الغُرُّ بَحرٌ ما لهُ طَرَفُ في كُلّ سَمْعٍ بدا من حُسْنِهِ طُرَفُ

نقولُ لمَّا أتانا ما بَعَثْتَ بهِ : هذا كِتابٌ أتى أم روضـةٌ أُنُـفُ

خَطٌّ تنزهتْ الأزهارُ حين بدا كأنَّهُ الدُّرُّ عنـهُ فُتّـحَ الصـدَفُ

يُفصح الشاعر عمَّا تميز به صديقه من الموسوعية في الولوج بكل حقل من حقول المعرفة الأدبية , وقدرته في جني ثمارها اليانعة , فهو كالبحر الذي يضمُّ في أحشائه كنوزاً كثيرة , وأنَّ رشاقة أسلوبه وجمال كلماته تحكي الروض بهاءً , فضلاً عمّا زانَهُ من رونق الخطّ الذي تنسمته , وازدانت به الأزهارُ جمالاً , فهو كالدُّر ألقاً وبهاءً .

وفي القصيدة نفسها والصفحة السابقة نفسها يمضي الشاعر مسترسلاً , وهو يكيل المديح لصديقه الشاعر معبراً عن تفوّقه وتفرُّده في الموهبة الشعرية , فيقول:

وردت بحرَ القوافي فاغْترفتَ كمـا قدْ حَلَّ يوماً بِمدّ النيلِ مُغْترِفُ

زهتْ على البدرِ نُوراً إذ أتتْ بِسوادِ النَّقسِ يشبَهُهُ مِن خَدّهِ كَلَـفُ

إذا تَخَفَّى لِفَتْحٍ وجْـهُ قافيــةٍ فَعَنْ قوافِيكَ شِيْلَتْ دُونَنا السُجُفُ

لأعْيُنِ الناسِ نَهْبٌ مِنْ مَحاسِنِهـا كما القُلوبُ تُلاقِيها فَتُخْتَطَـفُ

لقد حاول الشاعر أنْ يصف سعة الملكة الشعرية لصديقه , ومدى تمكنه من أدواته الفنية واغترافه من مَعينها الفيَّاض الذي لا تنضب مادته , فالقوافي تأتيه طيعةً ليغترفَ من بحورها ما يشاء من المعاني التي تَرِده طيعة قيادها كالمتزود من ماء النيل الذي لا يُنزفه كثرة الماتحين , والمغترفين , فهي أشدُ ألقاً من البدر المُنير , فضلاً عن سلاسة فهمها وملامستها المشاعر وسرعة الفهم وقدرة استيعابها لمن باشر قِراءتها وتذوَّقها فلا يستغلق فهم شيءٍ من معانيها فهي منوطة بمداعبة مشاعر فئات كبيرة من الناس وتحكي رغباتهم , وربما سعى الشاعر إلى تنبيه المتلقي بأنَّ تلك المعاني إنما تُعربُ عن رغبات الفئات الشعبية وما تتوق إليه نفوسهم , فهي لا تنتمي إلى الأدب الرسمي الذي يختص بالطبقات الحاكمة , ويسعى إلى إشباع نهمها ورغبتها في الاستعلاء سطوتها , كما يمكننا أنْ نُصنف الشاعر – بحسب الأبيات السابقة – أنه من فئة الشعراء المطبوعين الذين تأتي السليقة الشعرية طَيّعة على ألسنتهم من دون تعمُّل فهو يغرف من بحر موهبته التي وصفها بـ( مدّ النيل )

شهد القرن الرابع الهجري علو كعب النثر وفنونه العديدة وتطورها في كافة أنحاء المملكة الإسلامية ومزاحمتها الشعر في مجاله ؛ للتطور الذي شهدته الحياة العربية في مناحيها الفكرية , والعلمية , والاجتماعية , والسياسية , للنمو المضطرد في حركة التأليف وسطوع نجم كُتَّاب حلَّقوا بالكتابة في سماء الإبداع ؛ ولتطور الحاجات الإنسانية وتنوعها استدعى توسُّع الحاجة إلى فنون الكتابة النثرية أكثر من الحاجة إلى الشعر ؛ لقدرةِ النثر على استيعاب شؤون الناس بِيُسر , وفي الإقليم المصري وما وليه من الأمصار التابعة للدولة الفاطمية شهدت حركة التأليف والكتابة نموَاً مضطرداً لظهور طبقة من الكتاب , وتنوع أساليب النثر وأشكاله , وتحرر الفكر من بعض القيود , وعدم التفريط بأيٍ من الشكل أوالمضمون وهو ما وهب الأعمال الفنية قبولاً لدى الحس[46] , ومع كُل هذا فإنَّ الشاعر الناقد ابن وكيع التنيسي يخاطب الكُتاب بِنَفَسِهِ الشعري , وليس بملكته الكتابية , فيقول:[47]

ألا قُلْ لِكُتابِنا ينظُـروا إلى الشعراء بطرفٍ غضيضِ

وإنْ أُعَجِبوا ببلاغاتِهم فليس السَّماءُ نظير الحضيضِ

إذا فاخرونا بِمَنْثورِهِمْ فقلْ لَهم ذاك نَقصُ القريـضِ

أبدى الشاعر نسقية متعالية , ونظرة تهميشية لفئة الكُتاب , ولجنس الكتابة النثرية فهو يسعى إلى إعلاء شأن الشعراء , ويملي على الكتَّاب أنْ يغُضُّوا الطرف , أمام سلطان الشعراء , منطلقاً من الموروثات القديمة التي ترى أنَّ الشعر هو الأداة الفضلى في التعبير عن حاجات النفس , ورغباتها , مع أنَّ الشاعر يعترف بما توافر في النتاج النثري لتلك الحقبة من قيم بلاغية , وقدرات فنية تستحق أنْ تزاحم الشعر وتنافسه إلاَّ أنَّ ذلك لا يشفع لهم وفق منظور الشاعر , ورؤيته المتصلبة , وهي رؤية صنعتها التراكمات النسقية المتوارثة التي نصَّبت الشعر فارس الحلبة الإبداعية فكيف للحضيض أنْ يعلو ويباهي السماء , وأومأ الشاعر إلى ما كانتْ تتمتع به الكتابة النثرية في تلك الحقبة المعاصرة له من الزخرفة اللفظية والفنون البديعية .

وفي نص للشاعر طلائع بن رُزِّيك في المديح يفصح فيه عن استحقاق الممدوح للمعاني المبتكرة التي لا يشاركه فيها أحدٌ غيره من الممدوحين , فهو يقول:[48]

تأتي القَوافي وهيَ أبكارٌ لهُ قصْداً فَتَخْجلُ للأيادي العُونِ

حتَّى إذا وفَدتْ علينا لم تجدْ باباً لَعَمْرُكَ مُغْلَقاً من دوني

وهذه الأبيات وإن عُدت من المديح في موضوعها ولكنها تنم عن ذوق فني ورأي نقدي أطلقه الشاعر المادح .

**الخاتمة**

اتضح للبحث من دراسة هذه العيّنة من الدواوين أن الشعراء النقاد في العصر الفاطمي لم يبرحوا عن مزاولة مهمتهم النقدية وإعمال ذوقهم النقدي وهم في خضم ممارسة تجربتهم الشعرية مستحضرين في أذهانهم ومستلهمين أبرز القضايا النقدية السائدة آنذاك فقد ألقت تلك القضايا بظلالها على شعرهم : كقضية الشعر ديوان العرب , و قضية السرقات الشعرية والتضمين الذي لا يعد الشاعر فيه سارقا إذا ما بدل وغير في المعنى أو أضاف عليه , وقضية اللفظ والمعنى فاللفظ شكل روحه المعنى , وكذلك قضية القديم والمحدث ؛ فكل قديم هو حديث في عهده , وقضية عمود الشعر والطبع والصنعة التي شغلت النقاد كثيرا ولاسيما الجدل الذي ثار حول أبي تمام والبحتري اللذين مثّلا اتجاهين شعريين مختلفين بدأ الحديث عنهما الآمدي وانتهت القضية واستقرت على يد المرزوقي , ولغة الشعر المجازية التي تنماز عن لغة النثر .

**الهوامش**

(1) ينظر : الأغاني , لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصفهاني , ت , د قصي الحسين , فهرسة ومراجعة , عادل عبد الجبار , وأثير هادي , منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت , ط1 , 1422هـ – 2002م ج11 : 245

(2) ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة , راجعه واعد فهارسه عبد المنعم العريان , دار إحياء العلوم – بيروت , ط2 , 1986م : 130 .

(3) ينظر:الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء , لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (– 384هـ) , ت , محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية – بيروت , ط1 , 1415هـ – 1995م : 75 , 93 , 95 , وتاريخ النقد الأدبي عند العرب , د. عبد العزيز عتيق , دار النهضة العربية – بيروت: 21, وتاريخ النقد الأدبي عند العرب , من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري , طه أحمد إبراهيم , مكتبة الفيصلية – مكة المكرمة :26 – 27 , وعلى سبيل التمثيل نذكر إقواء النابغة في قوله: وبذاك خبَّرنا الغراب الأسودُ , على الرغم من أن قافية القصيدة كانت مكسورة.

(4) النقد الأدبي عند العرب , نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري , د. إحسان عباس , دار الثقافة – بيروت , ط4 , 1404 – 1983م:13 .

(5) ينظر: حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية ( 358 – 427 هـ ) دراسة في الموضوع والفن , محمد حسين عبد الله المهداوي , اطروحة دكتوراه , جامعة الكوفة –كلية الآداب , 1432 هـ – 2011م :355 .

(6) ينظر: ديوان أسامة بن منقذ ( – 584 هـ ) , ت , د.أحمد أحمد بدوي , و حامد عبد المجيد , عالم الكتب , ط2 , 1403 هـ – 1983 م :44 .

(7) ينظر: الخطاب الآخر, مقاربة الأبجدية , الشاعر ناقداً , د.علي حداد , منشورات إتحاد الكتاب العرب – دمشق:15 .

(8) ديوان ابن قلاقس اللخمي , راجعه وضبطه , خليل مطران , مطبعة الجواب – مصر , 1905م : 65 .

(9) ديوان ظافر الحداد , ت , حسين نصار , دار مصر للطباعة , ( د.ت ) : 34 .

(10) الشعر والشعراء :30 .

(11) العمدة في محاسن الشعر وآدابه , لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (– 456هـ) , ت، محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية – بيروت و ط1 , 1422هـ – 2001م , ج1 : 16 .

(12) الشعروالشعراء :30 .

(13) ديوان ابن قلاقس : 50 – 51 .

(14) المصدر نفسه : 79 , البعَك : الغلظ والكزازة في الجسم , وتعني الشخص الغليظ الخلق

(15) ينظر: كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب , ضياء الدين ابن الأثير , ت , د. نوري حمودي القيسي وآخرين , منشورات جامعة الموصل : 109 .

(16) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه , للقاضي علي بن عبد العزيزالجرجاني , ت , محمد أبو الفضل إبراهيم , وعلي محمد البجاوي , مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه :199, والصناعتين (الشعر والنثر)لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري , ت , علي محمد البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العربية , ط1 , 1371هـ – 1952م :196 والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , لضياء الدين بن الأثير , علق عليه , د. أحمد الحوفي , و بدوي طبانة , دار نهضة مصر للنشر والتوزيع – القاهرة , القسم الثالث.222

(17) الصناعتين : 196 , والمنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي , تصنيف , أبي محمد الحسن بن علي بن وكيع , ت , عمر خليفة بن إدريس , منشورات جامعة قار يونس – بنغازي , ط1 , 1994م : 102 .

(18) ينظر : المنصف للسارق والمسروق منه : 102 – 103 .

(19) ينظر : الصناعتين :36 .

(20) ديوان أسامة بن منقذ :122 .

(21) ديوان أبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني( –357هـ) , شرح , د. خليل الدويهي , دار الكتاب العربي – بيروت , ط2 , 1414هـ – 1994م :162 .

(22) ديوان أسامة :122 .

(23) ديوان المتنبي , دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت , 1983م , ج 1 : 453 .

(24) ديوان أسامة : 344 .

(25) شرح أشعار الهذليين , صنعة , ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري (–275هـ) , ضبط وتصحيح , خالد عبد الغني محفوظ , دار الكتب العلمية – بيروت , ط1 , 1427هـ – 2006م ,ج2 : 347 .

(26) ديوان ظافر الحداد :228 , الجزالة توصف بها الألفاظ عادة دون المعاني.

(27) ينظر : الحيوان ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ( – 255 هـ), ت , عبد السلام محمد هارون , مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر , ط2 , 1385 هـ – 1965 م. , ج3: 41.

(28) ينظر: عيار الشعر , محمد أحمد ابن طبابا العلوي (–322هـ) , ت , عباس عبد الساتر , مراجعة , نعيم زرزور , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط2 , 1426هـ – 2005م:14 .

(29) ينظر: البيان والتبيين , لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ , ( – 255هـ ) عبد السلام محمد هارون , مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع , – القاهرة , ط7 , 1982م , ج2 : 13 .

(30) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه , أبو الحسن بن رشيق القيرواني ( – 456هـ ) ,ت , محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية – بيروت , ط1, 1422هـ – 2001م , ج1: 136 .

(31) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري , لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي , (– 370هـ) , ت , السيد أحمد الصقر , ط4 , دار المعارف – مصر: 4 .

(32) شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام , تأليف العلامة محمد طاهر بن عاشور , ت , ياسر بن حامد المطيري , تقديم , د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر , مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع – الرياض , ط1, 1431هـ :35 .

(33) ديوان أسامة :48.

(34) ينظر : عيار الشعر: 11 .

(35) ديوان ابن سنان أبو محمد عبد الله الخفاجي (– 466هـ ) , ت , د. مختار الأحمدي و د. نسيب نشاوي , مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق , 1428هـ – 2007م . : 145 – 146 .

(36) ديوان ابن رشيق القيرواني , جمعه ورتبه د .عبد الرحمن ياغي , النشروالتوزيع , دارالثقافة – بيروت : 174 – 175 .

(37) المصدر نفسه : 173 .

(38) ديوان ابن سنان :639–641 , الفنيق: الفحل الذي لا يؤذى لكرامته على أهله والمقرم: البعير المكرم الذي يكون للفحولة فقط فلا يحمل عليه , ولا يذلل 0

(39) ينظر : العمدة ,ج1 :135 .

(40) ينظر: أساليب الشعرية المعاصرة :31 .

(41) ديوان ابن قلاقس :52 .

(42) ديوان طلائع :104 .

(43) ينظر: في لغة الشعر, د. إبراهيم السامرائي , دار الفكر– عمّان :91 .

(44) ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي ( –416هـ ) , ت , د. محمد بن عبد الرحمن الربيع , مكتبة المعارف – الرياض , ط1 , 1402هـ – 1982م : 112 .

(45) ديوان طلائع :98 , روضة أُنُف : لم تُرع من قبل.

(46) ينظر: الأدب في العصر الفاطمي , الكتابة والكتاب , د. محمد زغلول سلّام , منشأة المعارف بالأسكندرية : 223 .

(47) ديوان أبي الحسن الضبي : 77 .

(48) ديوان طلائع : 164 .

## Refrences

- الأدب في العصر الفاطمي , الكتابة والكتاب , د. محمد زغلول سلّام , منشأة المعارف بالأسكندرية .

– الأغاني , لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصفهاني , ت , د. قصي الحسين , فهرسة ومراجعة , عادل عبد الجبار , وأثير هادي , منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت , ط1 , 1422هـ – 2002م .

– البيان والتبيين , لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ , ( – 255هـ ) عبد السلام محمد هارون , مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع , – القاهرة , ط7 , 1403هـ – 1982م.

– تاريخ النقد الأدبي عند العرب , د. عبد العزيز عتيق , دار النهضة العربية – بيروت .

– تاريخ النقد الأدبي عند العرب , من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري , طه أحمد إبراهيم , مكتبة الفيصلية – مكة المكرمة .

– حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية ( 358 – 427 هـ ) دراسة في الموضوع والفن , محمد حسين عبد الله المهداوي , اطروحة دكتوراه , جامعة الكوفة – كلية الآداب , 1432 هـ – 2011م .

– الحيوان ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ( – 255 هـ), ت , عبد السلام محمد هارون , مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر , ط2 , 1385 هـ – 1965 م .

– الخطاب الآخر, مقاربة الأبجدية , الشاعر ناقداً , د0علي حداد , منشورات إتحاد الكتاب العرب – دمشق .

– ديوان ابن رشيق القيرواني , جمعه ورتبه د.عبد الرحمن ياغي , النشر والتوزيع , دار الثقافة – بيروت .

– ديوان ابن سنان أبو محمد عبد الله الخفاجي (– 466هـ ) , ت , د. مختار الأحمدي و د. نسيب نشاوي , مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق , 1428هـ – 2007م .

– ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي ( –416هـ ) , ت , د. محمد بن عبد الرحمن الربيع , مكتبة المعارف – الرياض , ط1 , 1402هـ – 1982م.

– ديوان أبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ( –357هـ) , شرح , د.خليل الدويهي , دار الكتاب العربي – بيروت , ط2 , 1414هـ – 1994م.

– ديوان أسامة بن منقذ ( – 584 هـ ) , ت , د. أحمد أحمد بدوي , و حامد عبد المجيد , عالم الكتب , ط2 , 1403 هـ – 1983 م .

– ديوان ظافر الحداد , ت , حسين نصار , دار مصر للطباعة , ( د.ت ) .

– شرح أشعار الهذليين , صنعة , ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري (–275هـ) , ضبط وتصحيح , خالد عبد الغني محفوظ , دار الكتب العلمية – بيروت , ط1 , 1427هـ – 2006م.

- شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام , تأليف العلامة محمد طاهر بن عاشور , ت , ياسر بن حامد المطيري , تقديم , د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر , مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع – الرياض , ط1, 1431هـ.

- الصناعتين (الشعر والنثر)لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري , ت , علي محمد البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العربية , ط1 , 1371هـ – 1952م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه , لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (–456هـ) , ت، محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية – بيروت و ط1 , 1422هـ – 2001م.

- عيار الشعر , محمد أحمد ابن طبابا العلوي (–322هـ) , ت , عباس عبد الساتر , مراجعة , نعيم زرزور , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط2 , 1426هـ – 2005م.

- في لغة الشعر, د. إبراهيم السامرائي , دار الفكر– عمّان .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , لضياء الدين بن الأثير , علق عليه , د. أحمد الحوفي , و بدوي طبانة , دار نهضة مصر للنشر والتوزيع – القاهرة .

- المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي , ابو محمد الحسن بن علي بن وكيع , ت , عمر خليفة بن إدريس , منشورات جامعة قار يونس – بنغازي , ط1 , 1994 م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري , لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي , (–370هـ) , ت , السيد أحمد الصقر , ط4 , دار المعارف – مصر.

- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء , لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (- 384هـ) , ت , محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية – بيروت , ط1 , 1415هـ .

- النقد الأدبي عند العرب , نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري , د0 إحسان عباس , دار الثقافة – بيروت , ط4 , 1404 – 1983م.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه , للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني , ت , محمد أبو الفضل إبراهيم , وعلي محمد البجاوي , مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه